رحلة الطَّرَد والصَّيْد بين
المشرق والأندلس

الدكتورة هناء دويدري

هام العرب بالطبيعة ومنحها الأدباء ذوب قلوبهم وأحاسيسهم ومشاعرهم، فوصفوها صامتة وحيَّة.

تناولوا في الصامتة مظاهرها ووجودها المتجسِّد في سمائها وجبالها وسهولها وأودائها وبحارها وأنهارها... وافتّنوا بوصف ماأحدثته الحضارة والعمران من المدن والقصور والمُتَنَزَّهات والجسور وبرك الماء...، وبرعوا في وصف مجالس اللهو، والشراب وآلته، والحرب وأدواتها،والصيد ومايُستخدم فيه من البندق والسهام والفخاخ والشباك.

وتناولوا في الطبيعة الحية وصف البُزاة، والنسور، والصقور، والعقبان، ووصفوا حُمُر الوحش، وثيرانه، وبقره، والأتن، والثعالب، والذئاب، والفهود، والآساد، كما نعتوا الظباء والنعام، والقطا، واهتموا بوصف الخيل[1]، وفضلوها[2] على سائر البهائم، وعدّوها مع الخمسة الذين لايُستحى من خدمتهم وهم: السلطان، والعالم، والوالد، والضيف، والفَرَس[3]، وكانوا يراهنون على سباق الخيل، ويسمّون موضع الجري المضمار، ومجتمع الخيل: الحَلْبة، وقد عدّوا لخيل السباق عشرة أسماء بحسب مراتبها في السبق أوّلها المُجَلّي، ثم المُصلّي، فالمُسلّي، فالتالي، فالمُرتاح، فالعاطف، فالحظيّ، فالمؤمَّل، فاللّطيم، فالسُكَيْت[4]، وهو العاشر.

كما عنوا بالكلاب التي تُعَدُّ من أشد الحيوان شبهاً بالخيل ومناسبة لها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لما يُحتاج فيها من الجري، والفطنة، وحسن الطاعة، والنشاط في الطلب، وقد صنّفوا في خصالها كتباً منها كتاب «فضل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب»(٥).

وكانوا يكنّون الحيوان كالإنسان، فيقولون: أبو الحارث للأسد، وأبو الحصين للثعلب، وأبو مضاء للفرس...، وقد أغنت هذه الأوصافَ كثرة المشاهدات، ودقة الملاحظات، والولع بالصيد الذي اتخذه عامة الناس وسيلة للرزق، أو رياضة ومتعة من متع النفس، وكان عند الملوك والأمراء وعِلْيَة القوم باباً من أبواب الترف واللهو يبعث النفس على مجانبة الدعة والسكون أيام الهدنة والسلم.

وقد كانت الطرديات(٦) من الفنون الشعرية المعروفة عند العرب، لكنها لم تقم فناً مستقلاً بذاته، وإنما كانت ترد على الأغلب في بابَي الوصف والمدح، فكان الشعراء يصفون المطاردة بالخيل والجوارح من الطير، وتتبّع الطرائد من الوحوش والطيور.

يقول امرؤ القيس (ت ٥٤٠م) في معلقته(٧):

وقد أغتدي والطير في وُكُناتها بمنجردٍ قيد الأوابد هيكلِ
مِكَرٍّ، مِفَرٍّ، مُقبلٍ، مُدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ

فهو يصوّر ببراعة ودقّة خروجه مبكّراً على فرسه السريعة التي يُطلقها في أثر الوحوش فتدركها، وتجعلها تقف وكأنّها مقيّدة. ومن أجل هذا اللمح الشعري، والتشبيه الرائق قيل: «أشعر النّاس امرؤ القيس إذا رَكِب».

وهو في أبيات أخرى يصف صيّاداً ماهراً يصيد الوحشَ مُخاتلاً وقت ورودها الماءَ آمنة فيقول(٨):

رب رامٍ من بني ثُعَلٍ مُتْلج كفيه في قُتَرِهْ
قد أتتْهُ الوحشُ واردةً فتنحّى النزعَ في يَسَرِهْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فرماها في فرائصها بإزاءِ الحوضِ أو عُقُرِهْ
مُطْعَم للصيد ليس له غيرَها كسبٌ على كِبَرِه

فهو هنا يصوّر الصائد وهو من بني ثُعل، مضرب المثل بالرماية، يتمطّى بيساره نحو الأرض حتى يؤنس الطريدة، فتألف منه ذلك ولاتذعر، فيُمضي فيها سهمَه.

وقد تأوّل الرواة المعنى على المدح بإدمان الصيد، وعدّوا استثناء البيت الأخير زيادة في المدح، لوصفه الصياد يتكلّف هذه المهنة على الرغم من كبره.

أما زهير بن أبي سُلمى (ت٦٢٧م) فقد جعل من صيد حُمُرِ الوحش قصة فنية ذات مقدمة وموضوع وخاتمة، فقال(٩):

فبينا نُبغّي الصيدَ جاءَ غلامُنا يدبُّ ويُخفي شخصَه ويُضائلُهْ
فقال: شياهٌ راتعاتٌ بقفرةٍ بمستأسد القُريان حوٍّ مسايلُهْ
ثلاثٌ كأقواس السَّراء ومِسْحَلٌ قد اخضرَّ من لسِّ الغمير جحافلُهْ
فتبّع آثارَ الشياه وليدُنا كشؤبوب غيثٍ يُفْحِشُ الأكْمَ وابلُهْ
يُثرن الحصى في وجهه وهو لاحقٌ سراعٌ توالِيه صيابٌ أوائلُهْ
فردَّ علينا العيرَ من دون إلفه على رغمه يَدْمى نَساه وفائلُهْ

فهو في المقدمة أرانا غلامه يمشي هوْناً لايكاد يُظهر نفسه ليُعلن أنه لمح في مجارٍ للسيل طالَ فيها النبات واشتد حتى ضرب إلى السواد، ثلاث شياهٍ ومعها عيرها الذي اخضرّت شفتاه من كثرة تناول الخضير من العشب.

وبدأت المطاردة، مطاردة الصيادين العير، وقد أُجريت الجياد، فانسلخ جواد الغلام النشيط عنها، حتى ليُسمع انطلاقه، والشياه تعدو مذعورة وهي تُثير الحصى في وجهه، لكن رجليه وعجزه ويديه وصدره كانت تنصب كدفقة المطر أولاً، ثم تنهمر بسرعة فتجرف الأرض.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتنتهي المطاردة العنيفة بالانتصار على العير، وقطعه عن الإلف (الأتان)، وقد أُدميَ نساه (عِرْق في الرِّجل)، وفائله (عِرْق في الفخذ).

ولا يخفى مافي الصورة من حسن تلوين وإتقان تعبير يشهدان لزهير بالبراعة والمهارة.

ونترك العصر الجاهلي، لنصل إلى العصر الإسلامي، فنجد فهماً ضافياً للصيد والقنص بتأثير الإسلام، ومعانيه الروحية، ولاسيّما مايتعلّق منها بالحلال والحرام، فقد سأل زيد الخيل(١٠) حين وفد على الرسول ﷺ فقال: يارسول الله، فينا رجلان لهما أكلب خمسة تصيد الظباء، فما ترى في صيدهن؟ فجاء البيان الإلهي ﴿يسألونك ماذا أُحِلَّ لهم قل أُحِلَّ لكم الطيبات وماعلّمتم من الجوارح مُكَلِّبين تعلمونهن مما علّمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾ [سورة المائدة - الآية ٤](١١).

فالله تعالى أحلّ المُستَلَذَّات، وصيد الكواسب من الكلاب والسباع والطير بعد تعليمها آداب الصيد، ومنها عدم الأكل منه، فإذا أكلت منه لايحل للإنسان أكله.

وقد أوضح الله سبحانه الشروط الواجب اتّباعها في الصيد، والأوقات التي يحلّ فيها الصيد، أو لايحلّ، في آيات عدة من سورة المائدة، ففي الآية الأولى يقول تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أُحِلَّتْ لكم بهيمة الأنعام إلا مايُتلى عليكم غير مُحِلِّي الصيد وأنتم حُرُم إن الله يَحكم مايريد﴾.

وفي الآية الثانية يقول: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾.

أي يجوز الصيد بعد الانتهاء من الإحرام في الحج والعمرة ويؤكد على عدم جواز الصيد ولاسيما صيد البر في الإحرام، في الآية ٩٦ ﴿أُحِلَّ لكم صيدُ البحر وطعامُه متاعاً لكم وللسيارة وحُرِّم عليكم صيد البر مادمتم حُرُما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واتقوا الله الذي إليه تُحْشَرون﴾.

وفي العصر الأموي ازدهر فن الطرد عند أصحاب القصيد والرُجَّاز(١٢) ومنهم العجّاج(١٣)، عبد الله بن رؤبة التميمي البصري (ت نحو ٩٠هـ) الذي اتّجه إلى الصحراء بسمعه بل وبكل حواسه، فدقَّق النظر في مشاهدها وصوَّر الحياة البدوية بليلها وسراها وتهجيرها وحيوانها، وقد راعى الدقة في اختيار الجزئيات الموحية من الموصوف كما في قوله(١٤):

بل خلتُ أعلاقي وجِلْبَ الكُورِ على سَراة رائحٍ ممطورِ

فهو يصف بعيره بالسرعة فيجعله كالثور الوحشي الممطور الذي يكون أكثر عدْواً.

وتبدو دقته وواقعيته في ذكر أسماء البعير والناقة والصياد والكلاب كما في قوله (١٥):

حتى رأى من حالك الأسداف ذا أكْلُبٍ نواهزٍ خفافِ
يُشْلي عِطافاً وأخا عِطاف يَقُدُّ أكنافاً إلى أكناف

فهو يقول إن الثور رأى صياداً يجوب الآفاق بحثاً عن الصيد، ومعه كلاب يدعو منها عطافاً وأخا عطاف.

وهو يكثر في أراجيزه من الحوار كما في قوله(١٦):

قالَ لها وقولُهُ مَوْعِيُّ وكلُّ ذاك يفعلُ الوَصِيُّ
إن الشِواءَ خيرُهُ الطَّرِيُّ

فالصياد يخاطب كلابه، ويكشف عمّا في نفسه من قَرَم إلى الشواء.

كما تحوّل وصف الصحراء إلى لوحات بديعة رسمها بشعره ذو الرمّة غيلان بن عُقبة العدوي (ت١١٧هـ) الذي نجتزئ من قصيدته التي يصف فيها الثور الوحشي وقتاله كلاب الصيد التي هاجته قولَه(١٧):

ضمَّ الظلامُ على الوحشي شملتَه ورائحٌ من نَشاص الدلو منسكبُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هاجت له جُوَّعٌ زرقٌ مُخَضَّرَةٌ شوازبٌ لاحها التغريثُ والجبنُ
وهنَّ من واطئٍ ثِنِيَيْ حَويّته وناشجٍ وعواصي الجوف تنشخبُ

فهو يصور الثور الوحشي، وقد لفّه الظلام والمطر، ينقضّ على الكلاب فيجعل دماءها تنزف من عروقها التي مزّقها.

وقد أخضع الشاعر لغته لبيانه، فرسم الحيوان، وبثّ فيه أفكاراً وهواجس وأهواء، وصوّر الصحراء كائناً مخيفاً، وكذلك الليل، وقد وُفّق في استخدام الألفاظ ومدلولاتها.

ونذكر من أدباء هذا العصر عبد الحميد بن يحيى (ت١٣٢هـ) الكاتب الذي نقل الطرديات من الشعر إلى النثر، فقد كتب رسالة إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد (حكم من سنة ١٢٧ إلى ١٣٢هـ) وصف فيها رحلة صيد في البر فقال(١٨):

«أطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيَّداً بالعزّ، مخصوصاً بالكرامة ممتَّعاً بالنعمة، إنه لم يُلَقَّ أحد من المُقتنصين، ولا مُنح متطرّف من المتصيّدين إلا دون مالقّانا الله به من اليمن والبركة ومنحنا من الظفر والسعادة في مسيرنا، من كثرة الصيد، وحسن المقتنص».

وقد تحدث عن اصطحابهم الجوارح المدرَّبة و «الضواري التي ثقفت بحسن الأدب، وعُوّدت شدة الطلب، وسبرت أعلام المواقف، وخبرت المجاثم».

وقد وصف الكاتب رواحلهم من الخيل التي عُرفت بنشاطها وحركتها، وأشار إلى هطل المطر، ثم طلوع الشمس، وانجلاء الضباب الذي علاهم، وتحدّث عن نشاط جوارح الصيد وضواريه فقال: «فمدّت الجوارح أجنحتها، واجتذبت الضواري مقاودها، فأمرتُ بإرسالها على الثقة بمحضرها، وسرعة الجوارح في طلبها».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وختم الرسالة بحمد الله على ماأفاء عليهم من نعمة الحصول على الصيد الكثير فقال: «قد حيّرتنا الكثرة، وألهجتنا القدرة حتى امتلأت أيدينا من صنوف الصيد، والله المنعم الوهّاب».

وقد نثر الكاتب في الرسالة كثيراً من معاني الشعر القديم متأثراً بوصف شعراء الجاهلية للصيد وكلابه وجوارحه، وأعمل فيها مهارته الفنية، فوشّى أسلوبه بحلية التصوير، متخيّراً الألوان الملائمة للأجواء المختلفة، كما وفّر له ضروب التعادل الصوتي، فإذا الأفكار تتدفق في كل لفظة وفي كل جملة متسلسلة مترابطة، مما جعل الرسالة أنموذجاً حيّاً لأدب صاحبها الذي ضُربت ببلاغته الأمثال فقيل: «فُتحت الرسائل بعبد الحميد، وخُتمت بابن العميد»(١٩).

ونمضي مع شعراء الطرد إلى العصر العباسي، فنرى ازدهار هذا الفن، وتنوّع أوزانه وقوافيه، وقد اعتاد الخلفاء والأمراء الخروج إلى الصيد في مواكب حافلة تضمّ الأدباء الذين يسجّلون مشاهده خالصةً أو مضافاً إليها عناصر التشويق بخلط النادرة بالوصف، والتفكّه بما يعنّ لهم من أفكار، ومايتراءى أمام أعينهم من مثيرات، فقد روي أن الخليفة العباسي المهدي (ت١٦٩هـ) كان مولعاً بالصيد لايكاد يغبّه، وقد خرج معه يوماً علي بن سليمان العباسي، فعرض لهما ظبي، فرماه هو والمهدي بسهمين، فأصابه سهم المهدي فقتله، وأصاب سهم علي كلباً كان قد أُرْسِل على الظبي فقتل الكلب، فقال الشاعر زند بن الجون، أبو دُلامة (ت١٦١هـ) مُضحك السفّاح (ت١٣٦هـ) والمهدي، وكان مشهوراً بخفة الروح والتندّر(٢٠):

قد رمى المهديُّ ظبيا شكَّ بالسهم فؤادَهْ
وعليٌّ بن سليما ن رمى كلباً فصادَهْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهنيئاً لهما كلّ (م) امرىءٍ يأكل زادَهْ

ومن أشهر أعلام هذا العصر الذين شاركوا في إغناء فن الطرد الحسن ابن هانئ أبو نواس (ت١٩٨هـ) الذي نظم طرديات كثيرة معظمها أراجيز منها أرجوزته التي مطلعها(٢١):

لمّا تبدّى الصبحُ من حجابِهْ كطلعةِ الأشمطِ من جلبابِهْ

وفيها يصف مهارة كلبه فيقول:

هِجنا بكلب طالما هجنا به ينتسفُ المِقْود من كلاّبِهْ

وقد كان الناس يخرجون إلى الصيد والطير هاجع كما يقول ابن الرومي(٢٢) (ت ٢٨٣هـ):

وقد أغتدي للطير والطير هُجَّعٌ ولو أوجست مغداي مابتن هُجَّعا
بخلَّين تمّا بي ثلاثة إخوةٍ جسومُهم شتى وأرواحُهم معا

أما البحتري (ت٢٨٤هـ) فقد صور حَلْبة الصيد فقال(٢٣) في مطلع قصيدة:

ياحسن مبدى الخيل في بكورِها تلوح كالأنجم في ديجورِها

وقد امتثل فيها الصور القديمة، وأضفى عليها من فيض نفسه الشاعرة أناقة التعبير ودقة الحس والذوق، ومثله فعل أبو العباس الناشئ الأكبر(٢٤) (ت٢٩٣هـ) الذي قلّما ترك ضارياً من ضواري الصيد إلاّ وَصَفَه، ولا جارحاً من جوارحه إلاّ نَعَتَه، حتى « إن كُشاجم(٢٥) (ت٣٦٠هـ) لمّا ألّف كتاب «المصايد والمطارد» أفاد منه كثيراً، وذكر جملة من روائع طردياته(٢٦).

وقد حاكى ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) أبا نواس في طردياته فقال(٢٧):

قد أغتدي والليلُ كالغراب داجي القناع حالك الخضاب
بكلبه تاهت على الكلاب تفوتُ سبقاً لحظة المرتاب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتبدو براعته في صنع الصور والتشبيهات في قوله يصف فهدة تصيد(٢٨).

ولا صيد إلاّ بوثّابة تطير على أربع كالعَذَبْ
تضمّ الطريد إلى نحرها كضم المحبة مَنْ لايحبْ

فهو يصف أرجل الفهدة بأنها كالخيوط من خفتها، وهي تضمّ الطريد إلى نحرها بعد صيده فتعانقه عناق عدوان لا محبّة.

وقد اتخذ الأدباء من البحار والبحيرات والأنهار مراتع لهو واستمتاع سجّلوا من خلالها صور الطبيعة الجميلة ومايُصطاد فيها كما فعل الصنوبري (ت٣٣٤هـ) حين وصف صيد الحيتان (السمك) فقال(٢٩):

أفضلُ ماأعددتُه من العُدَدْ وما حوى صحبي به غنى الأبدْ
بناتُ قينٍ حاز في الحذق الأمدْ على مقادير مخالب الصُّرَدْ
عُجنا بها من حيث ماعاجَ أحدْ في ظلّ صفصاف علينا قد بَرَدْ
شاطئَ نهرٍ لابسٍ درعَ زَبَدْ ولم تزل تُرسَل طوراً وتُمَدْ
ثم بعثنا ألفَ عينٍ في جَسَدْ فجئننا بمثلهنّ في العددْ
ألفٍ من الحيتان بيضٍ كالبَرَدْ

فقد صور الشاعر خروجهم إلى شاطئ نهر تظلله أشجار الصفصاف، وصيدهم ألف حوت بالصنانير الشبيهة بمخالب الصُرَد (طائر جارح ضخم الرأس والمنقار)، وبالشبكة ذات الألف عين.

وقد أسهم المتنبي (ت٣٥٤هـ) في وصف الصيد والقنص، وكان يخرج إليه مع الأمراء،فمن طردياته وصفه الباز الذي أُرسل على حجلة(٣٠):

وطائرة تَتبَعُها المنايا على آثارها زَجِلُ الجَناحِ
كأن الريش منه في سهامٍ على جسد تَجَسُّم من رياحِ

وذات يوم اجتاز الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجبال فأثارت الغلمان خِشفاً (ولد الغزال) فتلقّفته الكلاب، فقال أبو الطيب مرتجلاً قصيدة منها قوله(٣١):

زرناه للأمر الذي لم يُعْهَدِ ... للصَّيدِ والنزهةِ والتمرّدِ

فوصف الجبل الذي زاروه للنزهة والصيد، وهي أمور لم تُعْهَد من قبلُ لوعورة مسالكه وارتفاعه، ثم انتقل إلى وصف مشاهد الصيد.

ولأبي فراس الحمداني (ت٣٥٧هـ) أرجوزة في مئة وسبعة وثلاثين بيتاً مطلعها(٣٢):

ماالعمر ماطالتْ به الدهورُ ... العمرُ ماتمَّ به السرورُ

وقد حكى فيها قبضة الصيد والاستعداد له، وسمّى مُربّي الصقور (الصَقَّار) ومُربّي الفهود (الفَهَّاد)، ومُربّي البُزاة (البازيار)(٣٣):

وندع المشرق إلى الأندلس(٣٤) التي خصها الله «من الرَّيع وغَدَق السقيا، ولذاذة الأقوات، وفَراهة الحيوان...، بما حُرِمَه الكثير من الأقطار ممّا سواها»(٣٥)، فنجد تعلّق الأندلسيين ببلادهم(٣٦)، وتمتّعهم بها مُمثَّلاً بقول ابن سفر المريني(٣٧):

في أرض أندلس تُلتَذُّ نعماءُ ... ولايُفارق فيها القلبَ سَرَّاءُ

أنهارُها فضةٌ والمسكُ تربتُها ... والخزُّ روضتُها والدرُّ حصباءُ

على أن أول ظاهرة نرصدها في أدب الأندلس هي أن أغلب الأدباء كانوا شعراء وكتاباً في آن معاً، وقد دبَّج كثير منهم في الطرد رسائل امتزجت فيها مشاهرهم بمظاهر الطبيعة المختلفة، ونظموا طرديات استمدّوا أغلب صورها ومجازاتها من البيئة العربية القديمة، ومن مشهوري شعراء الطرد والقنص في العصر العباسي، وقد صدرت عن نفوسهم نفثات فياضة بالعصبية العربية التي كانوا يفخرون بالانتماء إليها، بعد أن تداعت إلى أذهانهم ذكريات المواطن الأولى التي أقبل منها قومهم فجعلوها قبلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أنظارهم، أو كما قال ابن بسام (ت٥٤٢هـ) في ذخيرته[٣٨]:

«إن أهل هذا الأفق - يعني أهل الأندلس - أَبَوا إلاّ متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قَتَادة[٣٩]، حتى لو نَعَقَ بتلك الآفاق غراب، أو طنَّ بأقصى الشام أو العراق ذباب، لَجَثوا على هذا صنما، وتَلَوا ذلك كتاباً مُحْكَما».

ولعل هذا القول يعطي الأدب الأندلسي عمقاً وأصالة، فهو ليس أدباً ناشئاً تعود أوائله إلى الفتح العربي الإسلامي للأندلس، وإنما هو أدب له جذوره الممتدّة في ذلك الماضي البعيد حيث تراثهم الخالد الذي يستقون من روافده، ويستوحون نماذجه، ويهمنا هنا مايتعلق بمشاهد الصيد، وحيوان الصحراء.

ولئن عدَّ بعض مؤرّخي الأدب عصر بني أمية في الأندلس حتى القرن الرابع الهجري عصر التقليد لأدب المشرق، إن الشخصية الأندلسية بدأت بالظهور من خلال تلك الأخيلة الدقيقة التي صاروا يعبّرون فيها عن عواطفهم وأذواقهم وأفكارهم، وكثيراً ماروووا الحكايات التي تدور حول الصيد وتدخل في باب الفكاهة التي هي ابنة الأحداث الطريفة أينما كان زمانها ومكانها.

ذكر ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) في العقد الفريد في «كتاب اللؤلؤة الثانية في التنفيه والهدايا والفكاهات والمُلَح» أن أشعب ساوم رجلاً بقوس فقال له: أقل ثمنها دينار. فقال أشعب: «والله لو أنك رميتَ بها طائراً في جو السماء، فوقع مشويّاً بين رغيفين، ماشتريتها منك بدينار أبداً».

كما دلّوا على معرفتهم بالصيد وحيواناته وطيوره في شعرهم[٤٠]، وقد صاغوه في أحايين كثيرة بقالب الفكاهة، وفي أبيات موجزة، غالباً ماكانوا يختارون لها الأوزان القصيرة، وقد أسهم في النظم الأمراء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحاشيتهم ممّن كان لهم طبع مرن يتّسع للترويح عن النفوس إلى جانب علمهم، فقد روى ابن الأبّار (ت ٦٥٨هـ) في الحلّة السيراء[٤١] أن أحد الولاة وهو عبد الرحمن بن وليد بن عبد الرحمن سمع عبد الله بن يحيى الليثي يُجيب مَنْ سأله عن النعامة بأنها طير الماء، فقال على البديهة يذم الجهّال في زمانه، ويسخر من جهلهم:

ذهبَ الزمانُ بصفوةِ العلماءِ ... وبقيتُ في ظلمٍ وفي عمياءِ
وأتى طغامٌ رُقّعٌ من بَعْدِهم ... لافرقَ بينَهم وبينَ الشاءِ
فإذا سألتَ عن النعامِ أسَدَّهم ... علماً، يفسّره بطيرِ الماءِ

وواضح أن الأبيات تمتاز بأسلوبها السهل ومعناها القريب الفكه، وتجلو معالم الشخصية الأندلسية التي ترتكز على الجرأة في القول[٤٢].

وقد أقبل كثير من أمراء بني أمية وخلفائهم على الصيد، وبلغ من اهتمامهم به أن خصصوا له خطّة يتولاها بعض ثقاتهم واستمرّ هذا التقليد عادة متّبعة[٤٣]، ولم يشغلوا عنه إلاّ في الغزوات والمعارك حيث كانوا يصطادون الرجال.

روى صاحب الحلّة السيراء[٤٤] أن الأمير عبد الرحمن الداخل (ت١٧٢هـ) الذي لقّبه أبو جعفر المنصور بـ «صقر قريش»، كان خارجاً إلى الثغر في بعض غزواته، فأتاه من جنده مَنْ كان يعرف كلفه بالصيد يعلمه بوقوع غرانيق[٤٥] إلى جانب معسكره، ويحضّه على اصطيادها، فأجابه:

دعني وصيدَ وُقّعِ الغرانق ... فإن همّي في اصطياد المارق
في نفقٍ إنْ كان أو في حالق ... إذا التظتْ هواجرُ الطرائق
كان لفاعي[٤٦] ظِلٌّ بندٍ خافق ... غَنِيتُ عن روضٍ وقصرٍ شاهق
بالقَفْر والإيطان في السرادق ... فقلْ لمَن نامَ على النمارق
إن العلا شُدَّتْ بهمٍّ طارق ... فاركبْ إليها ثَبَجَ المضايق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أو، لا، فأنتَ أرذلُ الخلائق

فالأمير يفخر في هذا الرجز بنفسه، ويتّخذ منها شواظاً يحرق المارق الشيطان الذي لن يفلت منه مهما حاول الهرب في الأرض أو في السماء، فهو البطل المغوار الذي يخوض المعارك تحت البنود ويأنف من حياة الترف في المتنزّهات والقصور، ويخاطب الخامل الذي نام على النمارق فيحرّضه على طلب العلا، وإلاّ فهو كذا، وكذا.

وغالباً ماكان الأندلسيون يغزون في الصيف، ويصيدون في الشتاء، فقد قال عبد الله بن الشمر(٤٧) متبرّماً بكثرة الصيد في الشتاء، والبرد والجليد:

ليت شعري أمن حديد خُلقنا ... أم خُلقنا من صخرة صمّاء
كل عام في الصيف نحن غزاة ... والغرانيقُ غَزْوُنا في الشتاء
إذ ترى الأرضَ والجليدُ عليها ... واقعٌ مثلَ شُقَّةٍ بيضاء

ولايسمح المجال في هذا البحث لعرض شعراء الطرد والصيد في الأندلس، وسوف أكتفي بذكر أعلامهم، وماخلّفوه من منظوم الكلام ومنثوره حسب تسلسلهم الزمني بادئة بعَلَم من مفاخر الفكر الإنساني هو عبّاس بن فرناس (ت٢٧٤هـ) الذي اشتهر بمحاولاته الابتكارية في عمل ساعة التوقيت، واستحضار الزجاج من بعض أنواع الحجارة، ومحاولة الطيران، إلى جانب إجادته نظم الشعر غير متخلّف عن الشعراء الذين اتخذوا الشعر صناعتهم الأولى واهتمامهم الأكبر، فمما قاله في وصف السراب وقد افتنّ فيه تصويراً وتعبيراً(٤٨):

يَفلقن لُجَّةَ آلِهِ فأمامَها ... حادٍ وآخرُ خلفَها لم يَلْحَقِ
فكأن ذا موسى وذاك بإثرِه ... فرعونُ إلاّ أنه لم يَغْرَقِ

ونحن نلمح تأثّر الشاعر بالقرآن الكريم، ففي محكم التنزيل آيات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تنصّ، أو تشير بمعناها، إلى أن الله فرق بموسى ومَنْ معه البحر، فأنجاهم، وأغرق فرعون وجنوده الذين اتّبعوهم(٤٩).

لكن النكتة اللطيفة تبدو في قول الشاعر: لم يغرق، لأنه يصف السراب، وهو مايحسبه الظمآن أو الماشي في الصحراء أو في الهاجرة ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فهو لايغرق لأنه ليس ماءً.

ومن طرديات ابن فرناس قوله(٥٠):

قد أغتدي والليلُ مركومُ الظُلَمْ ... والصبحُ في ثني الظلام مكتتمْ
بأغضفٍ مُعَلَّمٍ أو قد عَلِم ... كأن شقَّ الشدقِ من فيه القَضِمْ
كافٌ أُجيدَ مطُّها في حُسن ضم ... حتى إذا كنّا على ظهر إضِمْ
عنّت لنا أرنبُ من نحو سَلَمْ ... فثار منها الكلبُ كالصقر الشهمْ

فهو يصف الكلب الأغضف المسترخي الأذنين، المتسع الشدقين وقد بصر بأرنب، فانساب نحوها مسرعاً ينقضّ كالصقر في عنف حركاته.

وهذه الصورة رأيناها في أشعار المشارقة، فقد كانت العرب تعتمد الكلاب في الصيد كما تستخدم جوارح الطير، وكان يُخَصَّصُ للكلب مدرّب يعلمه آداب الصيد هو الكلاّب.

يقول ابن عبد ربه في صفة كلب قنص(٥١):

يختلسُ الأنفسَ باستلابهِ ... كلبٌ يُلَقَّى الوحيَ من كلاَّبهِ
كأنه الكوكبُ في انصبابِه ... أو قبسٌ يُلْقَط من شهابهِ

وقد أحسن الشاعر التشبيه، وأجاد رسم الصور الجزئية للكوكب والقبس والشهاب مستوحياً الأسلوب المشرقي كما فعل الوزير الأندلسي عبيد الله بن إدريس (ت٣٥٢هـ) حين وصف الصيد بالشواهين فقال(٥٢):

خرجنا نَؤمُّ الطيرَ في مستقرِّهِ ... وصيدَ الصحاري بالحتوفِ القواصدِ
على سابحاتٍ كاليعاسيبِ ضُمَّرٍ ... تسابق أنفاسَ الصَّبا في الفدافدِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تُديرُ على الصيدِ الشواهينَ في مدىً من الجو عالٍ عن رؤوسِ القرادِدِ
تطيرُ قلوبُ الطيرِ عند انقضاضِها كشؤوبِ مُزْنٍ في دويٍّ الرواعدِ

فهو يستخدم مهارته الفنية فيأتي بصورة كلّيّة يؤلّف فيها لوحة فنية منسجمة يتحدث فيها عن خروجه مع صحبه إلى الصيد على خيول ضامرة سريعة تشبه اليعاسيب (جمع يعسوب وهو ذكر النحل) تتسابق في الأرض المستوية، وهم يرسلون الشواهين (الصقور) التي تعلو القرادد (جمع القردد، وهو ماارتفع عن الأرض) فترتعد قلوب الطير فَرَقاً عند انقضاض هذه الشواهين، وكأنها في انقضاضها شؤبوب مزن (دفقة مطر) مصحوب بدويّ الرعد.

وهذا الأسلوب البدوي نجده عند ابن هانئ (ت٣٦٢هـ) الأزدي في قوله يمدح جعفر بن علي بن حمدون الجذامي، ويعرف بابن الأندلسي من قصيدة(٥٣):

قومٌ يبيتُ على الحشايا غيرُهم ومبيتُهم فوقَ الجيادِ الضُمَّرِ
طردوا الأوابدَ في الفدافدِ طردَهم للأعوجيّةِ في مجالِ العِثْيَرِ
ركبوا إليها يومَ لهوِ قنيصِهم في زِيِّهم يومَ الخميسِ المُصْحِرِ

فالشاعر أظهر بطولات ممدوحه بأسلوب استوحاه من طبيعة البيئة البدوية فذكر الأوابد (الوحوش)، والفدافد (الأراضي المستوية الواسعة)، والأعوجية (نسبة إلى أعوج، وهو اسم فرس كريم)، والعِثير (وهو العجاج الساطع)، والمُصْحر (من دخل الصحراء وبرز إليها لايواريه شيء).

وابن هانئ قد اشتهر بمتنبي المغرب لغوصه على المعاني، وميله إلى جزالة البداوة الممزوجة برقة الحضارة، ولعل أبا العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) قد فطن لما في شعره من غريب اللفظ ووعورته فقال:(٥٤) «ماأشبّهه إلاّ برحى تطحن قروناً».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما يوسف بن هارون (ت٤٠٣هـ) المشهور بالرمادي، وهو الصورة العربية لكنيته بالإسبانية، فيقال له أبو جنيس، والرماد هو بالإسبانية **Conisa**، فقد ألف كتاب «الطير» لما سجنه محمد بن أبي عامر الحاجب المنصور (ت ٣٩٢هـ) بعد أن مال إلى جانب جعفر بن عثمان المُصحفي (ت٣٨٢هـ) الذي نازع المنصور، ثم أطلق سراحه.

يقول الرمادي في أُمّ الحسن:(٥٥)

وخرساءَ إلاّ في الربيع كأنها نظيرةُ قُسٍّ في العصور الذواهبِ
إذا ابتدأت تنشدك رجزاً وإن تقلْ لها بَدِّلِي تنشدك في المتقاربِ

فمن دلالات البيتين تمكّن الشاعر من التراث، وحفظ أسماء المشهورين، إلى جانب معرفته بعلم العروض.

وله في قطع المفاوز وصفات الإبل والمسافرين(٥٦):

وركبٍ إذا قطعوا نفنفا رمى بهم البُعد في نفنفِ
قطعنا على مضمراتٍ تجود كلالاً بأدمعها الوُكَّفِ
وتحتي حرف لفرط النحو ل تنفي النحولَ عن المدنفِ

فقد تناول الشاعر معاني القدماء وعرض هذا القديم في ثوب لايقل بهاء عما سبقه، فوصف ضمور ناقته ونحولها؛ وقد كانت الناقة والفرس مطيَّتي المغامرات، إن لم يُضمرها العدو وكثرة السير، عمدوا إلى إضمارها.

والإضمار هو تقليل العلف للخيل مدة وإدخالها بيتاً كنيناً وتجليلها (إلباسها الجلّ، وهو ماتُغطى به لتُصان) لتعرق، وتجفيف عرقها، فتصلب، ويخفّ لحمها، وتقوى على الجري. وقد عد الأندلسيون الاهتمام بالخيل من المفاخر كما جاء في ردّ أبي الطيب عبد المنعم القروي(٥٧) (ت٤٩٣هـ) على ادعاءات ابن غرسية(٥٨) ومزاعمه في تفضيل العجم على العرب.

وقد شغلت عملية الطرد والقنص الكتّاب الأندلسيين، فراحوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يدبّجون رسائل ظهر فيها تأثرهم بطبيعة بيئتهم الخلابة التي فيها ترتفع الجبال وتجري الجداول والأنهار وتنتشر الحقول الخضراء، وتغرّد على أفنان أشجارها العنادل والأطيار، وهو مانلمحه في رسالة ابن الحنّاط(٥٩) (ت٤٣٠هـ) التي صوّر فيها بأسلوب قصصي جذّاب صيد البر بضواري الحيوان وجوارح الطير، وصيد البحر وماستخدم فيه من سفن وشباك، كما رسم صورة جميلة للطبيعة وجعلها تشاركهم في فرحهم ولهوهم، فقد خرج الكاتب في ثلّة من صحبه، فلما «توسطوا، وهدأت الربا، عنّت لهم أسراب الظِبا»، وبدأت المطاردة والقنص، «فغادرناها بين جريح مضرّج بدمائه وقتيل يجود بذمائه»(٦٠).

وقد أجاد الكاتب في وصف الروض الجميل الذي نزلوه للاستراحة والأكل والشرب، ومارآه أو سمعه من تلبّد السماء بالغيوم، أو لعب الرياح بالأغصان، وترجيع الطيور وشدوها بأعذب الألحان، «فلما قرب، وصُفّ شواء وصهب، تعاطينا لحماً كالعقيق، وتهادينا شحماً كالشقيق، ثم قام كل إلى جواده يمشّ بعرفه كفيه، ويمسح بشعبه بين عينيه...، وسماؤنا غدافية الإهاب، جامعة السحاب، فماء الندى مسكوب، ورواق الطل مضروب، والريح تعصف، والغصن يتثنى والقنبرة تصرصر، والبلبل يتغنى»(٦١).

كما وصف ركوبهم البحر في زوارق،وكأنها تتحرك بأجنحة الغربان «وأقبلت الزوارق تهفو بقوادم غربان، وتعطو بسوالف غزلان، تخالها في سمائه أهلّة مكسوفة،وتحسبها فوق مائه رعيل دهم مصفوفة»(٦٢).

وقد أشار إلى أدوات الصيد المستخدمة ومنها الصنانير التي تشبه لحدّتها أظفار النسر، ثم وصف النينان (جمع نون وهو الحوت، السمك) التي اصطادوها وقد طلعت عليهم «النينان أشباه النجوم، تبرق بريق الصوارم المسلولة، وتلمع لمعان الذوابل المصقولة»(٦٣).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي فصل آخر من الرسالة يتحدث عن الصيد بضواري الحيوان، وعن مطاردة كلب لسرب من حمر الوحش، ثم انقضاضه عليه بشراهة وأخذه له.

فالكاتب في الطرديات مطلق العنان، يبرز مهارته وبراعته في الأسلوب الذي يشاء كما يقول الشهاب محمود في «رسالة البندق»(٦٤) التي تشتمل على أنواع من الأوصاف، وفنون من النظم والنثر، يستعين بها الكاتب على مايشاء من إنشاء قدّمه في أي نوع أراد من الطير.

ولعل ابن الحنّاط كان موفّقاً في رسالته التي أطرفنا فيها بصور حيّة تثبت في الذهن، وتؤكّد سعة مخيّلته الفنية التي جعلته يفتنّ بوصف الصيد بجوارح الطير، ولم تفته حتى مطاردة الباز للقطاة..(٦٥)، وقد انتهت عملية المطاردة بالخيل وبجوارح الطير بمحصول وافر من الصيد. ولم يكن حظ ابن حمديس (ت٥٢٧هـ) بأقل من حظهم فيه حيث يقول:(٦٦)

لما رأيتُ الصبح قد تبدّى ... كأنه في الشرق سيل مدّا
أركبت نفسي شَوْذقا مُعدّا ... يهدُّ أركان الطيور هدّا
وفتية يكتسبون المجدا ... ويركبون السابحات الجردا
ويصرعون في الحروب الأسْدا ... ويقنصون حمراً وربدا
صادوا وصادوا مايجوز العدّا ... فمن فتى يقدح منه زندا
وحاطبٍ طلحاً له ورندا ... ومشتوٍ يوسعُ ناراً وقدا

فهو يصف خروجه مبكراً، والتبكير من مستلزمات الصيد، وكان معه الشاهين أو الصقر الذي علّمه، والفتية الشجعان الذين يصرعون الأسود في الحروب، ويصيدون الطيور الحمر ومااربدّ (اغبر) لونها، وقد صادوا ما لا يحصى، ثم احتطبوا من شجر الطلح والرند، وأشعلوا النار، وكانوا كلما خمدت زادوا في وقدها.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما ابن خفاجة (ت٥٣٣هـ) الذي برع في النظم والنثر، فكان غزير المعاني حتى لكأنه يستمد من معين في نفسه لاينضب، كما كان حريصاً على فصاحة اللفظ وحسن الأداء مع الجزالة والرصانة، وهذه الأوصاف تنسحب على رسالته في وصف الطرد بجوارح الطير التي استهلها بشعر وصف فيه الكلب المطوَّق العنق بالبياض، ثم وصف الطير بنثر فني تعمد فيه السجع والتزام المحسنات اللفظية فمما قاله في وصف الكلب(٦٧):

وأخطلَ لو تعاطى سبق برق ... لطار من النجاح به جناحُ
يسوف الأرضَ يسأل عن بنيها ... فتخبر أنفَه عنها الرياحُ
أقبُّ إذا طردتَ به قنيصاً ... تنكّب قوسَه الأجَلُ المتاحُ
أضلَّ برأسِهِ ليلٌ بهيمٌ ... فشدّ على مُخَنَّقِه صباحُ

فهو يصور السرعة المدهشة التي انقضّ بها الكلب على طريدته، ويجعل النجاح حليفه في سباقه مع البرق الذي طالما حيّر الشعراء بلمعانه في السماء وبسرعته الخاطفة.

وفي صفة الطائر قال:

«قد جمع بين عزّة مليك، وطاعة مملوك، لو سُبك له النجم قَنَصا ، أو جرى بذكره البرق قَصَصا، لاختطفه أسرع من لحظة، وأطوع من لفظة، وانتسفه أمضى من سهم، وأجرى من وهم».

ففي هذه الرسالة تتجلّى إلى جانب خصائص الكاتب والشاعر الفنية خصائص رسائل الطرد، ومنها تصوير الحركة العنيفة للكلب(٦٨)، وأحسب أن ابن خفاجة إنما وصف البازي في القسم النثري، فقد كان هذا الطير المفترس يستعمل في الصيد بعد تدريبه وتعليمه فينطلق نحو طريدته، وينقضّ عليها بسرعة مذهلة مع إصابة لاتخطئ الهدف المقصود، وكثيراً ماكان الأدباء يغتنمون فرصة وصفه ليمدحوا الخلفاء والأمراء واجدين لهم من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاعتزاز بالقوة والشجاعة والإقدام ماوجدوه في البازي من هذه الصفات وقد كان الملوك يفضلونَ الصيد به.

قال ابن خاتمة الأنصاري (ت ٧٧٠هـ) محذّراً من التبذّل(٦٩):

كنْ كمثل الباز حالاً في انقباض وسلوك
مستجنّاً في الفلاة أو على أيدي الملوك

وقد كان ابن زمرك(٧٠) (ت٧٩٥هـ) يأتي بشعر الطرد ليمدح بطله الذي هو الملك نفسه، أو أحد أبنائه، كما في قوله يصف الباز، ويمدح ابن الغني بالله محمد بن يوسف (ت٧٩٣هـ)(٧١):

من كل خافقة الجناح إذا مشت تُبدي اختيال الغادة العذراء
أهدت لنا سبج العيون وطوّقت أرجاءها بعقيقة حمراء
واستاقت الياقوت في منقارها ومشت على المرجان في استحياء
ووشت يد الأقدار في أعطافها وشياً زرى بالحلّة السيراء
ملك الطيور أتى إلى ملك الورى فاستاقها لمؤمّل الخلفاء

وابن زمرك هو الذي ذكر العصافير في شعره وجعل منها إحدى مكونات المشاهد الطبيعية التي تزيد هذه جمالاً وبهاءً بغنائها.

لقد فتنت الطبيعة الأندلسية بجمالها الشعراء والأدباء، وسحرتهم بمباهجها، فكانت لهم مسرح اللهو ومصدر الإلهام، يجدون فيها راحة وانشراحاً، فتخصب أخيلتهم وتتوسع آفاقهم، فيأتون بالصور البديعة، واللوحات الرائعة، في قصائد روائع خلدت على وجه الدهر، تجلّت فيها عبقريتهم في التصوير وقد بلغوا فيه الغاية.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حواشٍ وإحالات

(١) انظر «كتاب الخيل» لابن جُزَي ص٤٢ (باب تفسير اسم الخيل واشتقاقه).

(٢) دليل فضل الخيل أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿والعاديات ضَبْحا، فالمُوريات قدحا، فالمغيرات صبحا، فأثرن به نَقْعا، فوسطن به جمعا﴾. [سورة العاديات، الآيات ١-٥]

فقد أقسم الله تعالى بالخيل، وبأصوات أجوافها، وشدة عدوها، وإغارتها عند الصباح، وإثارتها الغبار، وقد توسّطن من أغارت عليهم.

وقد قال الرسول الكريم ﷺ مشيراً إلى الأجر والغنيمة في الخيل: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» (صحيح مسلم ٣ / ١٤٩٣).

(٣) الفرس واحد الخيل، ويقع على المذكر والمؤنث، فإن أردت المذكر قلت «حصان» وإن أردت المؤنث قلت «رمكة» انظر «الخيل» لابن جزي ص٤٤ ويقال للفرس الأنثى أيضاً: حِجْر «اللسان».

(٤) انظر «حلية الفرسان وشعار الشجعان» لابن هذيل ص ١٤١ - ١٤٨

(٥) الكتاب مطبوع، وهو من تصنيف ابن المرزبان، انظر مصادر البحث.

(٦) الطرد بفتح الطاء والراء: هو مزاولة الصيد والقنص، والطرديات هي ماقيل فيه من أراجيز وأشعار.

(٧) انظر «ديوان امرئ القيس» ص ٨ - ٢٦ .

(٨) انظر «أشعار الشعراء الستة الجاهليين» بشرح الأعلم الشنتمري ٩٩/١ .

(٩) الأبيات في «شرح ديوان زهير بن أبي سلمى» لثعلب ص ١٣٠ - ١٣٦ وجعل الأتن في هذا الموضع شياهاً، والشاة تكون من الضأن، والمعز، والظباء، والبقر، وحمر الوحش. صياب: قاصدة.

(١٠) هو زيد الخيل بن مهلهل من طيِّئ، جاهلي أدرك الإسلام، فسماه النبي الكريم زيد الخير، انظر أخباره في «الشعر والشعراء» ٢٠٥/١ لابن قتيبة.

(١١) «الحيوان» للجاحظ ٢٠٤:٢ . «الإصابة» لابن حجر ٤٨٢:١ (ذريح).

(١٢) الرجّاز جمع راجز، وهم الذين ينظمون الرجز.

(١٣) هو عبد الله بن رؤبة التميمي البصري، ويقال له (أبو الشعثاء) سمي العجاج لبيت قاله في أرجوزة له:

أو يبتغوا إلى السماء درجا حتى يَعِجَّ ثَخَناً مَنْ عجعجا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العجعجة: كثرة الصياح.

انظر «ديوان العجاج» رواية الأصمعي وشرحه، تحقيق عبد الحفيظ السطلي ج٢ ص٨١ و «الأغاني» ١٨/٢٣، ٢١/٩٥ .

وقد تابع ابنه رؤبة أبو الجحاف مسيرته، توفي سنة ٤٥هـ.

انظر «الشعر والشعراء» ٢/٤٩٥ .

(١٤) «ديوان العجاج» ج١ ص٣٥٣-٣٥٤ .

الأعلاق: القراب والأدوات وباقي متاع الرحل. الجلب: خشب الرحل، الكور: الرحل، السراة: الظهر.

قال الجوهري: شبّه بعيره بثور وحشي رائح وقد أصابه المطر «الصحاح ١/١٠٠».

(١٥) المصدر السابق ١/١٦٢ .

الإشلاء: الدعاء، يقدّ: يقطع، وفاعل يقد الصياد. يقد أكنافاً إلى أكناف: يقطع نواحي إلى نواح.

(١٦) المصدر السابق ١/٥١٨ - ٥١٩ .

مَوْعِيّ: محفوظ. الوَصِيّ: الموصى إليه. كل هنا بمعنى بعض. «جمهرة اللغة ١:١٨٢ - ١٨٣».

(١٧) «ديوان ذي الرمة» ١/٩ - ١٣٦ .

(١٨) جمهرة رسائل العرب ٢/٥٤٤ - ٥٤٨ رسالة عبد الحميد الكاتب.

(١٩) يتيمة الدهر للثعالبي (طبعة الصاوي) ٣/١٣٧ .

(٢٠) ترجمة أبي دلامة في الشعر والشعراء ٢/٦٦٠ - ٦٦٢ والأبيات في المصدر نفسه.

(٢١) ديوان أبي نواس ص ٢١٠ .

(٢٢) ديوان ابن الرومي (تحقيق نصار) ٤/١٤٧٤ .

(٢٣) ديوان البحتري (تحقيق الصيرفي) ٢/١٠٤٣ .

(٢٤) انظر في الناشئ وحياته وأشعاره طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤١٧، وزهر الآداب ١/١٧٧ .

(٢٥) هو محمود بن الحسين شاعر من أهل الرملة بفلسطين. كان من شعراء سيف الدولة الحمداني، قيل إنه نحت لقبه دلالة على نواحي فضله، فالكاف من كاتب، والشين من شاعر، والألف من أديب، والجيم من جواد، والميم من منجّم أو مغنٍ.

(٢٦) انظر كتاب المصايد والمطارد لكشاجم، فهرس الأعلام: ٢٢ .

(٢٧) ديوان ابن المعتز ص٨٨ .

(٢٨) انظر (المصايد والمطارد) ص ١٩٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العَذَب: خيوط ترفع بها الموازين (القاموس المحيط للفيروز أبادي).

(٢٩) ديوان الصنوبري ص ٤٧٥ .

(٣٠) انظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب لليازجي ص ٢٥١ .

زَجِل: ذو صوت، وهو نعت للبازي ويريد خفيف جناحيه في الطيران.

(٣١) المصدر السابق ص ٢٢٧ .

(٣٢) ديوان أبي فراس الحمداني (دار الفكر) ص ١٥٣ - ١٦١ .

(٣٣) انظر مصادر البحث «البيزرة».

(٣٤) أطلق المؤرخون على شبه الجزيرة التي تشغلها الآن إسبانية والبرتغال ثلاثة أسماء: أولها إيبريا Iberia نسبة إلى الإيبريين الذين كانوا أول من سكنها، وثانيها إسبانية Hespania وقد استنبطه الرومان لمّا حكموها من تعبير فينيقي I-She Phan-IM بمعنى بلاد الأرانب لكثرة هذا الحيوان فيها، وثالثها الأندلس Al-Andalus وقد اشتقه العرب من ڤانداليسيا وهي أرض سكنتها قبائل الڤاندال التي هاجمت ممتلكات الرومان في القرن الخامس الميلادي.

(٣٥) انظر نفح الطيب (١/١٢٤، ١٢٥) للمقري. فراهة الحيوان: نشاطه وخفته.

(٣٦) راجع رسالة أبي بحر صفوان بن إدريس (ت٥٩٨هـ) التجيبي التي أقام فيها مناظرة بين مدن الأندلس، فقد جعل كل بلد يفتخر بطبيعته وفضله. والرسالة في نفح الطيب ١/١٥٩ - ١٦٤ للمقري.

(٣٧) المصدر السابق ١/١٩٤ .

(٣٨) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة م١ ق١/١٢ .

(٣٩) قَتادة: هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٧هـ) كان من حفاظ أهل زمانه، وهو عالم بالقرآن والفقه. «تهذيب التهذيب ٨/٣٥١ -٣٥٦».

(٤٠) انظر الذخيرة م١ ق٣ ص٢١٤ ابن عبد البر يصف الغزال، والإحاطة ٢/٢٢٧ ابن زمرك يصف الزرافة، ويتيمة الدهر ٢/٥٤ ابن شهيد يصف الثعلب.

(٤١) الحلة السيراء ١/١٦٢ .

(٤٢) منها قول يحيى بن حكم (ت ٢٥٠هـ) المعروف بالغزال لوسامته يصف العلاقات الاجتماعية في مجتمعه (ديوان الغزال ص٤٧)

ماأرى هـهنا من النـاس إلاّ ثعلباً يطلب الدجاج وذيبا

أو شبيهاً بالقط ألقى بعينيـ ـه إلـــى فأرة يريد الوثوبا

(٤٣) البيان المغرب ٢/١٥٩ لابن عذاري.

(٤٤) الحلّة السيراء ١/٤١ - ٤٢ .

(٤٥) الغرنوق والغرنيق: الكركي. قاله الأصمعي، أو طائر يشبهه، قاله ابن السكيت،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والجمع الغرانيق (تاج العروس ص٣٤، غرق).

(٤٦) اللفاع: مايجلل الجسد كله من رداء أو لحاف.

(٤٧) المغرب ١/١٢٥ لابن سعيد، وانظر «التشبيهات من أشعار أهل الأندلس» للكتاني ص١٧١ .

(٤٨) انظر أخبار عباس بن فرناس في نفح الطيب ٤/٣٤٦ للمقري.

(٤٩) القرآن الكريم: سورة البقرة (الآية ٥٠)، يونس (الآية ٩٠)، طه (الآية ٧٧-٧٨)، الشعراء (الآية ٦٠-٦٦)، القصص (الآية ٤٠) وانظر البيتين في التشبيهات ص١٧٧ .

(٥٠) المصدر نفسه ص ١٨٢ .

(٥١) المصدر السابق ص ١٨٣، ديوان ابن عبد ربه ص٣٥ .

(٥٢) التشبيهات ص ١٨٧- ١٨٨

(٥٣) ويعرف بابن هانئ الأندلسي تمييزاً له من أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي.

انظر ديوان ابن هانئ الأندلسي ص ١٦١-١٦٤ .

(٥٤) وفيات الأعيان (٢/٥) لابن خلّكان.

(٥٥) أمّ الحسن أنثى الطائر المعروف في المشرق بـ «الحسّون». يقول الدميري (حياة الحيوان ١/٢٨٥): «الحسون عصفور ذو ألوان بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة، وهو يقبل التعليم».

انظر التشبيهات ص٥٥، وفيها أيضاً وصف لأمّ الحسن على روي آخر. وقس بن ساعدة الإيادي (ت ٦٠٠م) خطيب العرب الفصيح وحكيمها وقاضيها.

(٥٦) انظر التشبيهات ص١٧٦

(٥٧) انظر رسالة القروي في الذخيرة م٢ ق٣ ص٧٢٢-٧٤٦ حيث يقول: «الخيل حرث العرب وحصادها، وعدتها وأرصادها، ليست أمة من سائر الأمم الأعجمية تنازعها ذلك....».

(٥٨) انظر رسالة ابن غرسية في الذخيرة م٢ ق٣ ص٧٠٥-٧١٤، والمغرب لابن سعيد ٢/٤٠٨ .

(٥٩) هو أبو عبد الله محمد بن سليمان الرعيني. كان متقدّماً في الآداب والبلاغة والشعر، انظر ترجمته في الذخيرة م١ ق١ ص٤٣٧، والرسالة في خريدة القصر وجريدة العصر للأصفهاني ٢/٢٩٧ - ٣٠٤، وانظر ٣/٥٣٩ رسالة الفتح بن خاقان.

(٦٠) الخريدة ٢/٢٩٧ - ٢٩٨، الذماء: بقية الروح، وقد جانس الكاتب بينها وبين الدماء.

(٦١) المصدر نفسه ٢/٢٩٨ -٢٩٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٦٢) المصدر نفسه ٢/٢٩٩ .

(٦٣) المصدر نفسه ٢/٢٩٩ .

(٦٤) حسن التوسّل إلى صناعة الترسّل ص١٠٤ .

(٦٥) خريدة القصر وجريدة العصر ٢/٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

(٦٦) ديوان ابن حمديس ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .

(٦٧) ديوان ابن خفاجة ص ٥٤ ، ٥٥ ، وانظر الديوان ص٥٦ في وصف كلب على روي آخر.

والرسالة في الذخيرة م٢ ق٣ ص ٦٤٥ ـ ٦٤٦ .

(٦٨) انظر نفح الطيب (٥/٦٥) فقد ذكر المقري أن ابن المرعزي الإشبيلي أهدى كلبة صيد إلى المعتمد بن عبّاد، وفيها يقول:

لم أر ملهىً لذي اقتناص ومكسباً مقنع الحريص

كمثل خطلاء ذات جيد أتلع في صفرة القميص

لو أنها تستثير برقاً لم يجد البرق من محيص

(٦٩) ديوان ابن خاتمة الأنصاري ص ١٣٢ .

(٧٠) هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن زمرك (نفح الطيب ١٠/٤ ـ ١٢٥).

(٧١) أزهار الرياض ٢/١٣٧ للمقري.

المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة/ لسان الدين بن الخطيب: أبو عبد الله محمد (ت ٧٧٦هـ) تحقيق محمد بن عبد الله عنان ط٢ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ .

٣ ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض/ المقري التلمساني: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ) ج١، ج٢ القاهرة ١٩٤٠ .

٤ ـ أشعار الشعراء الستة الجاهليين / شرح الأعلم الشنتمري: يوسف بن سليمان بن عيسى (ت ٤٧٦هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩ .

٥ ـ الأغاني/ أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسن (ت٣٥٦هـ) ط دار الكتب.

٦ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب/ ابن عذاري المُرَّاكُشي: أبو عبد الله أحمد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن محمد (ت ٦٩٥هـ) ج١،ج٢ نشر وتحقيق ج. س. كولان، و إ. ليفي بروفنسال، ليدن (هولندا) ١٩٤٨ - ١٩٥١ .

٧ - المبيزرة/ الحسن بن الحسين (ظناً)، نظر فيه وعلّق عليه محمد كرد علي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط١- ١٩٥٢، صورة مصورة عام ١٩٨٨ .

٨ - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس/ ابن الكتّاني الطبيب: أبو عبد الله محمد (ت٤٢٠هـ) تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت ١٩٦٦ .

٩ - حسن التوسل إلى صناعة الترسّل/ شهاب الدين الحلبي: أبو الثناء محمد بن سليمان (ت٧٢٥هـ)، طبع المطبعة الوهبية بالقاهرة ١١٩٨هـ.

١٠ - الحلة السيراء/ ابن الأبّار القضاعي: أبو عبد الله محمد (ت ٦٥٨هـ) تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣ .

١١ - حلية الفرسان وشعار الشجعان/ ابن هذيل: علي بن عبد الرحمن (عاش في القرن الثامن الهجري) تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف القاهرة ١٩٥١ .

١٢ - خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس/ العماد الأصفهاني أبو محمد صفي الدين (ت٥٩٧هـ) تنقيح محمد المرزوقي، ومحمد العروسي المطوي، والجيلاني ابن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٧١ - ١٩٧٢ .

١٣ - الخيل/ ابن جُزَي الكلبي الغرناطي: عبد الله بن محمد (القرن الثامن الهجري) حقّقه وقدّم له محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٩٨٦ .

١٤ - ديوان ابن حمديس (ت ٥٢٧هـ) صحّحه وقدّم له إحسان عباس دار صادر، بيروت ١٩٦٠ .

١٥ - ديوان ابن خاتمة الأنصاري (ت٧٧٠هـ) تحقيق محمد رضوان الداية دار الحكمة دمشق.

١٦ - ديوان ابن خفاجة (ت٥٣٣هـ) تحقيق سيد غازي، منشأة المعارف بالإسكندرية ط٢، ١٩٧٩ .

١٧ - ديوان ابن الرومي (ت٢٨٣هـ) تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ .

١٨ - ديوان ابن شهيد (ت ٤٢٦هـ) جمعه وحققه يعقوب زكي. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٩ .

١٩ - ديوان ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) تحقيق محمد رضوان الداية، ط٢ دار الفكر دمشق ١٩٨٧ .

٢٠ - ديوان ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) تحقيق كرم البستاني، دار صادر بيروت ١٩٦١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢١ ـ ديوان ابن هانئ الأندلسي (ت٣٦٢هـ) دار صادر، بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤

٢٢ ـ ديوان أبي فراس الحمداني (ت٣٥٧هـ) منشورات دار الفكر، بيروت.

٢٣ ـ ديوان أبي نواس (ت١٩١هـ) ط إسكندر آصف ١٨٩٨ .

٢٤ ـ ديوان امرئ القيس (ت ٥٤٠م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٥٨ .

٢٥ ـ ديوان البحتري (ت٢٨٤هـ) عني بتحقيقه حسن كامل الصيرفي ط٣ دار المعارف بمصر. د.ت .

٢٦ ـ ديوان ذي الرمة (ت١١٧هـ) رواية الإمام ثعلب، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ط٢ مؤسسة الإيمان، بيروت ١٩٨٢ .

٢٧ ـ ديوان الرمادي (ت ٤٠٣هـ)، يوسف بن هارون، جمعه وقدّم له ماهر زهير جرار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١ ، ١٩٨٠ .

٢٨ ـ ديوان العجاج، عبد الله بن رؤبة (ت٩٠هـ) رواية الأصمعي وشرحه، تحقيق عبد الحفيظ السطلي، توزيع مكتبة أطلس، دمشق ١٩٧١ .

٢٩ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / ابن بسام الشنتريني: أبو الحسن علي (ت٥٤٢هـ) تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ .

٣٠ ـ زهر الآداب/ الحصري القيرواني: أبو إسحاق (ت٤١٣هـ) تحقيق زكي مبارك دار الجيل، بيروت ١٩٧٢ .

٣١ ـ الشعر والشعراء/ ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله (ت٢٧٦هـ) دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤ .

٣٢ ـ صحيح مسلم/ أبو الحسين مسلم بن الحجّاج (ت٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٣ ـ طبقات الشعراء/ ابن المعتز، عبد الله (ت٢٩٦هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج دار المعارف بمصر ١٩٥٦ .

٣٤ ـ العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب (ت٣٥٤هـ)/ الشيخ ناصيف اليازجي، المطبعة الأدبية، بيروت ١٣٠٥هـ.

٣٥ ـ العقد الفريد/ ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد (ت٣٢٨هـ) تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٤ .

٣٦ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/ ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن (ت٤٦٣هـ) تحقيق محمد مفيد قميحة. دار الكتب العلمية ط١، بيروت ١٩٨٣ .

٣٧ ـ فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب/ ابن المرزبان: أبو بكر محمد بن خلف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عني بنشره إبراهيم يوسف النسّاخ بدار الكتب المصرية، مطبعة محمود توفيق بمصر ١٣٤١هـ.

٣٨ ـ القاموس المحيط/ الفيروز آبادي: محيي الدين محمد بن يعقوب (ت٨٢٣هـ) المكتبة التجارية الكبرى ط٥، ١٩٥٤ .

٣٩ ـ المصايد والمطارد/ كُشاجم: أبو الفتح محمود بن الحسين (ت٣٦٠هـ) تحقيق محمد أسعد طلس، دار اليقظة بغداد ١٩٥٤ .

٤٠ ـ المُغرب في حلى المَغرب/ ابن سعيد: علي بْن موسى (ت٦٨٥هـ) تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤ .

٤١ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب/ المقّري التلمساني: أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩ .

٤٢ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ ابن خلّكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ) تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

٤٣ ـ يتيمة الدهر/ الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ) تحقيق الصاوي، مصر.

ثانياً ـ المراجع:

٤٤ ـ تاريخ الفكر الأندلسي/ آنخل جونثالث بالنثيا، ترجمة حسين مؤنس. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥ .

٤٥ ـ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة/ أحمد زكي صفوت. مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٣٧ .

٤٦ ـ حياة وآثار ابن زمرك (شاعر الحمراء)/ حمدان حجاجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.

٤٧ ـ دراسات فنية في الأدب العربي/ عبد الكريم اليافي، دمشق ط١ عام ١٩٦٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net